

نهضة اللغتين

« العربية والتركية »

حياة الأمم في آدابها العالية ، وبيانها الخالد ، بها تنهض ، وتسمو ، وتماشي الدهر ، وبها تستعز ؛ ولكم من أمة كفل لها بيان لغتها بعثها بعد أن طوى جهل حكامها صحيفة وجودها ؛ وفي بحث هذه الأمم التي ناهضت الترك وتناهضهم اليوم في سهول تراقية والرومي خير دليل وبرهان ، فلتن هب علماء الغرب وشعراؤه سنة ١٨٢٠ لنجدة الأمة اليونانية فهم إنما أرادوا بإحيائها أحياء لغة اليونان . فقد ضمنت أقلام كتبة آثينا الذاهبين الخالدين هذا الوجود الحاضر لمن استخلفهم على لغتهم في ديارهم . فهم بما كتبوه منذ ألفي سنة بعثوا أمة اليونان منذ تسعين سنة .

للغات كالأمم أدوار عزّة وانكسار ، ولقد زهت لغتا العرب والفرس في أعزّ أيام دولهما ؛ فكانت اللغة العربية في القرنين الثالث والرابع للهجرة في أوج عظمتها ورقتها ، وفي مثل ما نرى فيه اليوم لغات باريس ولندن وبرلين . فكانت تغصّ أروقة حلقات الدرس في مدنها - وهي أشبه شيء بجامعات مدن الغرب الكبرى في يومنا الحاضر - بمئات الطلاب القادمين إليها اجتاعاً للعلم ، كما تكتظ مدارس عواصم الغرب في هذا العصر بطلاب الشرق ، ولم أر أمة شذت عن هذه القاعدة غير الأمة التركية لأسباب تضيع في شرحها وتعليقها آراء علماء الاجتماع

مرت الأمة التركية بدور عزّة وعظمة لم ينقصا في شيء عن عزّة وعظمة أرقى الأمم التي مشت قبلها على وجه هذه البسيطة . فلقد جاءت عشائرها مئات من جبال الأورال في الشمال واجتمعت ملايين عند أسوار فينا . فكانت ككرة الثلج تزداد في تدحرجها ضخامة إلى أن ضعفت فأضمحلّت بفعل النواميس الطبيعية ، كما اضمحلّت

الاسم التي تقدمتها بفعل هذه النواميس نفسها . ولقد بلغت الامة التركية هذا المبلغ من الرقي والتهوض ، ولغتها في الخضيض ، لا شعر ، ولا بيان ، ولا آداب سامية ، فكان تلك الحروب والفتوحات جرفت الامة كلها في سيرها الى الموت والفناء . الا أن الباحث المدقق يجد ان الامة التركية كانت كلها منذ بدء الفتح تشغل مناصب السيادة الملكية والعسكرية فلا تعرض مقاتل افرادها الى الهلاك الا على قدر . وما كان اولئك الذين فتحوا الديار وهاجموا الاسوار الا ابناء هؤلاء الاسرى الذين سقطوا في حروبهم مع الترك بين ايديهم فاعتنقوا الاسلام ووقفوا أجسامهم على خدمة الحرب ، فسار أبناؤهم على آثارهم الى ان اضمحلت اجواق الانكشارية التي قادت أعلامها خافقة الى النصر في كل مكان ؛ فكان في استطاعة الترك في أيام عز دولتهم احياء بيان لغتها وضربها على أعناق الدهر خالدة خلود جميع اللغات التي تقدمتها والتي جاءت وتستجىء بعدها . غير أنه لم يكن شيء من ذلك . فلقد مالت شمس عظمة تلك الدولة الى الأفول والغروب وشمس نهضة لغتها لم تبرز بعد ؛ وهذا الحادث الغريب ، الشاذ ، من أغرب الحوادث التي يسطرها التاريخ في صحائفه لابنائنا الآتين

بدأت نهضة اللغة التركية الحديثة منذ خمسين سنة مضت فأخذت ترتقي وتنمو برغم الحوائث التي حالت دون نموها في الثلاثين سنة التي مرت بها من حكم عبد الحميد . فكتب أدباؤها ، وترجموا جل مؤلفات كتاب الغرب وعلماهم في العلوم والفنون ، والشعر والأدب . وساعدهم على ذلك وجود حكومة لهم منهم تقدم بعضهم ، ومدارس في كل نوع من أنواع العلوم . في العلوم الحربية والبحرية ، وفي التاريخ والحقوق والاقتصاد وعلوم التجارة والزراعة ، فامتلات مكاتبهم بآثارهم وأخذت لغتهم في الزهو والإشراق ، والحكومة في أخرج أدوار حياتها تنقل من انكسار الى انكسار ، ولعل السبب في إقبالهم على التهوض بلغتهم في هذا الدور والعصر هو الانتفاع بها كسلاح لمقاومة الفناء . فاشتغلوا باحياء اللغة لفوائدها

لا لذاتها ، كما فعل غيرهم من الأمم . فقد انصرف العرب عن الاشتغال بالملك الى الاشتغال بالأدب ، وانصرف الترك الى الاشتغال بالأدب ، طمعاً باستبقاء الملك ولقد ماشيت اللغة التركية في فروق خمسة أعوام رأيتها فيها سائرة بقدم الجبار الى الانتشار والاعتزاز ، فعمل لها ابناؤها في خمسة أعوام مثل ما عمل لها آباؤهم في خمسين سنة ان لم أقل اكثر . وكفاني دليلاً على اتساع الحركة الفكرية في الاستانة ان أقول ان عدد مطابعها بات أربعة أضعاف ما كان عليه منذ خمسة أعوام . وان أجرة المرتب التي كانت لا تتجاوز خمسة عشر غرشاً مرّ عليها دور بلغت الستين غرشاً في اليوم

وقد رأى ادباء الترك ان لا مفرّ لهم من انشاء نادٍ يجمع شتاتهم ، يشتغلون فيه بايجاد الالفاظ ونحت المعاني وبعث اللغة ، فانشأوا نادياً لهم أطلقوا عليه اسم (فجر . آتي) لم يخلُ من فائدة في نهوضهم فكان غرّة مطلع ذلك الفجر . وعملوا مجتهدين في ما أرادوه فكانت هذه الأعوام الخمسة التي مرّت بهم سنوات بركة واسعاد في اللغة (فقط) . واذا نظرنا الى كتاب اللغتين العربية والتركية في هذه السنوات الأخيرة نجد الآخرين أغزر مادة ، وأصحّ سنداً ، وأقوى بياناً .

ليس من ينكر نهضة الآداب العربية الكبرى منذ الربع الأخير من القرن الماضي الى هذا اليوم ؛ فلقد بلغت دولة الشعر والأدب فيها مبلغ أزمانها الراقية في أيام العرب الأولى الزاهرة ، إلا ان الحركة العلمية وما يلحقها لا تزال ضعيفة من كل وجه ، فكتب التاريخ والعلوم قليلة لا تروي ظمأ الوارد ، ونظام العمل على النهوض بها مقفود ، فكم من كتاب ثمين بدأ ذووه به وطووه . وهذه مجلدات دائرة المعارف وكتاب آثار الأدهار لا تزال تنتظر أناساً يكملون ما بدأ به السلف الصالح . ففي مصر وسوريا والعراق حركة أدبية كبرى اليوم لا نظام لها ولا رابطة تربط ذويها ، على ان حصولها سهل ، واحداثها غير بعيد المنال . وفي نظارة المعارف :

رجل كحشمت باشا دلت سوابق أبياديه على اللغة العربية على ان يديه لا تنكشان عن مساعدتها . ففي قليل من عناية امراء هذه النهضة يُحقق الأمل ويتم الرجاء . وأول حلقة من حلقات هذا النهوض انشاء ندوة للمشتغلين بالأدب يسن لها نظام يربط ابناءه في مصر وسوريا والعراق حتى والمهاجر الاميركية . فتكون هذه الندوة أشبه شيء بفترة الفجر الآتي العربي ، ونجمة هذه اللغة التي تهدي بنيتها الى أفضل السبل للنهوض بها في معارج الفلاح . واذا كانت هذه النهضة الأدبية دليلاً على حياة الأمة العربية في تنظيمها وتسييرها في سبيلها خير ضامن لها بالبقاء . فالى العمل والنهوض أيها الأدباء ، (مصر) ابراهيم سليم نجار



عهود الغادات

صديقتي العزيزة أنيسة

اليك مني هذا النبأ الغريب . انه لنبا غريب ، لأنه كان في اعتبارك واعتباري غير محتمل الوقوع . ولكن صدق القائل « لا مستحيل على وجه الارض » . توذين أن تعرفي هذا النبأ في الحال . ولكني أقول لك احزريه . ربما تظنين اني صرت غنياً عظيماً كأني اكتشفت كنزاً ، تحسبن ان الحكومة عينتني وزيراً ، او غير ذلك من الأمور الغريبة . ولكن امثال هذه الأمور — وان تكن غير متظرة — أقرب في اعتبارك واعتباري مما سأقوله لك ، لانك لن تحزريه . وليس ذلك لأنه لا يحدث مثله كل يوم وكل ساعة بل لأنه كان عندنا غير محتمل الوقوع أقول لك بلا تطويل في المقدمات ان امينة قاطعتني ، وكنت أود ان اراك وانتِ ترددين في تصديق هذا النبأ ، بل ان اري دهشتك وقد تحققت صبحته لأشاهد أبلغ حالة من حالات الانذهال والتعجب . ولكن لا صبر لي على كتمان هذا